أثرُ الصِّناعة النَّحويَّة في التَّعليل النَّحويِّ
شرح كتاب سيبويه للرمَّاني نموذجًا

د. رحمة أحمد .عضو الهيئة التدريسية بجامعة الفرات– رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالحسكة.

الملخَّص

تُعدُّ الصِّناعة النَّحويَّة ركيزةً مهمَّةً في علم النَّحو؛ لأنَّها وسيلةٌ لتمييز صحيح الكلام من سقيمه، ويعدُّ شرح الكتاب للرمَّاني النَّحوي المعتزلي(تـ 384هـ) كما جاء في نزهة الألباء في طبقات الأدباء نموذجاً يوضّح أثر الصِّناعة النَّحويَّة في عمليَّة التَّعليل النَّحويِّ، تناول البحث أهمية الصِّناعة النَّحويَّة؛ لبيان المعنى الصحيح، وهذا يظهر عند الرُّمَّاني خاصّة بشكلٍ واضح المعالم، بل إنَّ للمناسبة بين الصِّناعة والمعنى أثرًا مهمًّا في عمليَّة التَّعليل النَّحوي الذي يعدُّ أكثر الظَّواهر دورانًا وتأثيرًا في اللُّغة.

وقد نوقش ذلك في ثلاثة محاور، هي: مفهوم الصِّناعة النَّحويَّة، وارتباط الصِّناعة النَّحويَّة بالمعنى، وأثر الصِّناعة النَّحويَّة في عمليَّة التَّعليل النَّحويِّ في شرح كتاب سيبويه للرمَّاني. يسبقها تمهيدٌ فمقدّمةٌ، وتعقبها خاتمةٌ تتضمَّن أبرز النّتائج التي انتهى إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: الصِّناعة النَّحويَّة، التَّعليل النَّحوي، شرح الكتاب، الرُّمَّاني.

تمهيد:

عُني النَّحويون بالصِّناعة النَّحويَّة منذ نشأة النَّحو، ومنه بدأت باكورة تعليلاتهم النَّحويَّة، وقرنَ بعضُهم بين هذين المصطلحين، فقالوا: (صناعة النَّحو)، و(صنعة النَّحو)، و(الصِّناعة النَّحويَّة)، ومن أولئك الرُّمَّاني الذي ذهب إلى أنَّ: "صناعةَ النَّحو مبنيَّةٌ على تمييز صواب الكلام من خطئه على مذاهب العرب بطريق القياس الصَّحيح"[1]. وأكّد في أكثر من موضعٍ أنَّ المعنى هو الأصل، واللفظ تابعٌ له ومَعْبَرٌ إليه، وأنَّ الصِّناعة النَّحويَّة ينبغي أن تُراعيَ النَّواحي المعنويَّة؛ لأنَّهما متلازمان[2].

ونحا نحوه أبو الفتح بن جني(ت392هـ) الذي يقول: "فربما ظنَّ بعضُهم أنَّ (زيداً) هنا فاعل في الصّنعة كما أنَّه فاعل في المعنى"[3]. وابنُ مضاء القرطبي(ت592هـ) بقوله: "إنَّ النَّحويين قد وضعوا صناعة النَّحو لحفظِ كلام العرب من اللحن"[4]. وهذا ما نقله جلال الدِّين السّيوطي(ت911هـ) عن صاحب البديع في النَّحو[5] فقال: "النَّحو صناعة علميَّة يُعرف بها أحوال كلام العرب من جهة ما يصحُّ ويفسد في التَّأليف"[6]. وذهبَ تمَّام حسَّان من المعاصرين إلى أنَّ الصِّناعة النَّحويَّة تكون علمًا مضبوطًا إذا تحقَّق للنحو خصائصُ العلم المضبوط، كالموضوعيَّة والشُّمول والتَّماسُك والاقتصاد[7].

---

(1) **الرُّمَّاني**، علي بن عيسى، 1408هـ/1988م- **شرح كتاب سيبويه**. تح: المتولّي الدَّمِيري، ط1، مطبعة السعادة، مصر، ص119.

(2) المصدر السَّابق، ص121-122.

(3) **ابن جني**، أبو الفتح عثمان، 2010م- **الخصائص**. تح: محمد علي النَّجار، ط2، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص280.

(4) **القرطبي**، ابن المضاء، 1994م- **الرد على النحاة**. تح: د. شوقي ضيف، ط1، القاهرة، ص80.

(5) أبو الحسن علي بن عيسى الفرج الرّبعي، عالم بالعربيَّة (ت420هـ). **السّيوطي**، جلال الدِّين، 1427هـ/ 2006م- **الاقتراح في أصول النَّحو**. ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، راجعه وقدَّم له: علاء الدين عطية، ط2، دار البيروتي، ص24الحاشية (4).

(6) المصدر السَّابق، ص24.

(7) **حسَّان**، تمّام،1420هـ/2000م- **الأصول (دراسة إبستيمولوجيَّة للفكر اللغوي عند العرب، النَّحو- فقه اللُّغة- البلاغة)**. (د. ط)، عالم الكتب، القاهرة، ص60.

وهـذه الأقـوال تـدلُّ علـى أنَّ الصِّـناعة النَّحويَّـة والمعنـى وجهـان ضـروريان لعلـم النَّحـو، ولعلميَّـة التَّعليـل النَّحـوي؛ ذلـك أنَّ اللُّغـة العربيَّـة تجـنحُ إلـى التَّـوازن بـين اللفـظ والمعنى ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

أهميَّة البحث:

تـأتي أهميَّـة هـذا البحـث مـن أنّ النَّحـو علـمٌ ذو أصـولٍ وقواعـد محكمـة متقنـة، يرتكـز علـى هـذه الصِّـناعة، ويؤكِّـد ذلـك مـا ورد فـي القـرآن الكـريم، وكـلام العـرب شـعراً ونثـراً، وكلامًـا يوميًـا مسـتعملًا، وتجلَّـت تلـك الصِّـناعة فـي مظـاهر تعليليَّـة متنوعـة مـن شرح الكتاب للرمَّاني.

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى تسليط الضّوء على النّقاط الآتية:

1- التَّأكيـد علـى أنَّ الصِّـناعة النَّحويَّـة يجـب أن تراعـي المعنـى، وتنـأى عـن اللَّـبْس في تراكيبها.
2- بيـان أثـر الصِّـناعة النَّحويَّـة فـي عمليَّـة التَّعليـل النَّحـوي وفـق قواعـدَ منطقيَّـةٍ يقبلها العقل، ولا تلفظها السّليقة العربيَّة.
3- رصـد نمـاذج مـن المظـاهر التَّعليليَّـة فـي شـرح كتـاب سـيبويه للرمَّـاني، روعيـت فيها جوانب الصِّناعة النَّحويَّة.

1- مفهوم الصِّناعة النَّحويَّة:

إنَّ جـوهر الصِّـناعة النَّحويَّـة هـو الإعـراب الـذي أجمـعَ جـلُّ النَّحـويين علـى أنَّـه الإبانـة عـن معـاني الألفـاظ، مـن خـلال أثـرٍ ظـاهرٍ أو مقـدَّرٍ يجلبـه العامـل[1]. وعليـه تختلـف أشـكالُ اللفـظِ الواحـدِ لاخـتلافِ أحـوالِ مُسمَّاه[2]. وهـو عنـد الرُّمَّـاني تغييـرُ آخـر الكلمـة بعامـلٍ، ويُقسـم إلـى أربعـة أوجـهٍ، هـي: رفـعٌ، ونصـبٌ، وجـرٌّ، وجـزمٌ[3]. ويقـول

(1) الخصائص، ج1، ص35. **والعُكْبُري**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، 1416هـ/1995م- **اللباب في علل البناء والإعراب**، تح: د. غازي مختار طليمات، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ج1، ص52.

(2) **ابن رشد**، القاضي أبو الوليد، 1431هـ/2010م- **الضّروري في صناعة النَّحو**. تحقيق ودراسة، د. منصور علي عبد السَّميع، تقديم: أ.د. محمَّد إبراهيم عبادة، ط1، دار الصّحوة، مصر، ص145.

(3) **الرُّمَّاني**، علي بن عيسى، 1414/1415هـ- **شرح كتاب سيبويه** من أول الكتاب إلى نهاية باب المصدر المثنى المحمول على الفعل المتروك إظهاره، دراسة وتحقيق: محمَّد إبراهيم يوسف شيبة، رسالة دكتوراه بكلية اللُّغة العربيَّة بجامعة أم القرى، إشراف: أ.د. أحمد مكّي الأنصاري، ص111.

ابـنُ رشـد(ت595هـ): "أمّـا غـرض هـذه الصِّـناعة، فهـو معرفـةُ أشـكال الألفـاظ التـي يُنطـقُ بهـا المفـردة والمركَّبـة، ... ومعرفـة مـا يلحـقُ هـذه الأشـكال الزَّائـدة علـى بنيتهـا المتبدِّلة بحسب تبدُّلِ المعاني وغير المتبدِّلة"[1].

إنَّ علامـات الإعـراب دوالٌ علـى المعـاني تعتـورُ الألفـاظَ، وقـد بـيَّن النَّحويـون أنَّ تحصـيل المعنـى مـن اللفـظ لا يكـون إلاّ بتمييـز وجـوه الصِّـناعة النَّحويَّـة، إذا كـان قـد علـم أنَّ الألفـاظَ مغلَّقـةٌ علـى مَعانيهـا حتـى يكـونَ الإعـرابُ هـو الـذي يَفتحهـا، وأنَّ الأغـراضَ كامنـةٌ فيهـا حتـى يكـونَ هـو المسـتخرِجَ لهـا، وأنَّـه المعيـارُ الـذي لا يتبـيَّن نقصـانُ كـلامٍ ورجحانُـه حتـى يعـرضَ عليـه، والمقيـاسُ الـذي لا يُعـرفُ صـحيحٌ مـن سَـقيمٍ حتـى يرجـع إليـه، لا يُنكِـرُ ذلـك إلاَّ مـن يُنكِـر حِسَّـه، وإلاَّ مَـنْ غـالطَ فـي الحقـائقِ نَفْسَـه[2]؛ لأنَّ الكـلامَ – كمـا وصـفَه أبـو حيَّـان التَّوحيـدي(414هـ): – "كالجسـم، والنَّحـو كالحليـة، وأنَّ التَّمييـز بـين الجسـم والجسـم إنَّمـا يقـع بـالحلي القائمـة والأعـراض الحالّـة فيـه، وأنَّ حاجتـه إلـى حركـة الكلمـة بأخـذه وجـوه الإعـراب حتـى يتميَّـزَ الخطـأُ من الصَّوابِ كحاجتِه إلى نفس الخطاب"[3].

2– ارتباط الصِّناعة النَّحويَّة بالمعنى

إنَّ الصِّـناعة النَّحويَّـة ليسـت محـضَ أبنيـةٍ أو قوالـبَ تُوضـعُ اعتباطًـا، بـل إنَّهـا تنـافسُ السّـليقةَ لتصـونَ كـلامَ العـربِ مـن اللَّحـن، فعلـمُ النَّحـو هـو الميـزان الـدقيق للغـة العـرب، وينبغـي أن يـوازنَ بـين معيـارَي الصِّـناعة والمعنـى لاسـتقامة الكـلام. ولا شـكَّ أنَّ نظـام الإعـراب يعضـد المعـاني؛ إذ يمـنح لكـلِّ معنًـى حركـةً إعرابيَّـةً[4] تـؤدِّي وظيفـةً معيَّنـةً؛ فـ"المقصود مـن أيّـة حركـة إعرابيَّـة إذًا هـو الـرَّبط بينهـا وبـين معنًـى وظيفـيٍّ خـاصّ، وقـد جـاءت هـذه الحركـة فـي نمطيَّـة اللغـة علـى هـذه الصّـورة؛ لأنَّ العُـرف قـد ارتضـاها

(1) **ابن رشد، الضّروري في صناعة النَّحو**، ص97.

(2) **الجرجاني**، عبد القاهر، 1413هـ /1992م– **دلائل الإعجاز**. تح: محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ج1، ص28.

(3) **التوحيدي**، أبو حيان، 1408هـ/1988م– **البصائر والذخائر**. تح: د. وداد القاضي، ط1، دار صادر، بيروت، ج1، ص180.

(4) **العكيلي**، حسن منديل، 2012م– **دراسات نحويّة**. ط1، دار الكتب العلميَّة، ص53.

كذلك"[1]. والعلَّة في جعلِه آخر الكلمة أنَّه وُضعَ لتبيَّن المعنى، وتمييَّز الصّفة المتغايرة في الأسماء، ولا طريق إلى علمِه إلَّا بعدَ انتهاء صيغته، ولهذا جُعلَ في الآخر[2].

ولا بدَّ مِن صحّة المعنى بناءً على الإعراب حتى يُقبلَ الوجهُ الإعرابيُّ؛ فكونه صحيحاً من ناحية الصِّناعة النَّحويَّة لا يجعل منه إعراباً صحيحًا إذا أدّى معنىً فاسدًا، وقد أوضحَ أحمد بن فارس القزويني (ت 395هـ) أثرَ الحركة الإعرابيَّة في الصِّناعة النَّحويَّة في بيان المعنى وإيضاحه، فقال: "فأمّا الإعراب فبهِ تُميَّز المعاني، ويُوقَف على أغراض المتكلِّمين"[3].

والأدلَّةُ على ارتباط الصِّناعة النَّحويَّة بالمعنى أكثرُ من أن تُحصى، ومن الآيات التي تقتضي التَّدبُّر وإعمال العقل، وتؤكِّد أهميَّة الصِّناعة النَّحويَّة قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر35: 28] فهو ليس كـ(إنّما يخشى العلماءُ اللهَ) لأنَّه إذا أُخِّر لفظُ الجلالة نُفيتِ الخشيةُ من غيرِ العلماء، وإذا قُدِّم نُفيتِ الخشيةُ أنْ تتعلَّقَ بغير الله سبحانَه وتعالى[4]، فالعلماءُ هم أشدُّ النَّاس خشيةً له سبحانَه، وتُعرب (العلماء) فاعلًا مؤخَّرًا، ولفظُ الجلالة (الله) مفعولٌ به. ومنه أيضًا قولُه تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُه﴾ [التوبة9 :3] بجرِّ (رسوله) فقيل له: معاذَ الله أنْ يكون بريئًا من رسوله، ووُجِّه بأنْ يُقرأ بالرَّفع؛ لأنَّ التَّقدير: ورسولُهُ بريءٌ[5]، وفي جرِّهِ فسادُ المعنى.

ولا غرو أنَّ الصِّناعة تؤثِّر في الألفاظ؛ لتجعلَها أدلةً على إثبات معانيها، وإذا لم تُراعَ تلك الصِّناعة في التركيب فلا يؤدّي المعنى الذي من أجلهِ وُضعَ[6]، وهذا ينمُّ على التعمُّق في المعاني النَّحويَّة، ومحاولة اختيار اللفظ المناسب للمعنى المناسب،

(1) **حسَّان**، تمام، 1421هـ/2001م- **اللغة العربيَّة بين المعيارية والوصفية**. ط4، عالم الكتب، القاهرة، ص57.

(2) **ابن رشد، الضّروري في صناعة النَّحو**، ص145.

(3) **القزويني**، أحمد بن فارس، 1418هـ- **الصاحبي في فقه اللغة العربيَّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها**. تح: محمد علي بيضون، ط1، ج1، ص35.

(4) **السّهيلي**، أبو القاسم عبد الرَّحمن بن عبد الله، خطيب، 1412هـ/1992م- **نتائج الفكر في النَّحو**. حققه وعلَّق عليه: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ص135.

(5) قرأ ابن أبي إسحق وعيسى بن عمر(رسوله) بالنَّصب عطفًا على اللفظ. **ابن جني**، أبو الفتح عثمان، 1415هـ- 1994م- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تح: علي النجدي ناصف، منشورات وزارة الأوقاف، لجنة إحياء كتب السنة، القاهرة، ج2، ص169.

(6) **مخيمر**، فؤاد علي، 1983م- **فلسفة عبد القاهر الجرجاني النَّحويَّة في دلائل الإعجاز**. ط1، دار الثقافة، مصر، ص78-79.

ومن ثمَّ يُعرض التّركيب على الصِّناعة ليأخذَ صيغته التي يخرجُ بها المعنى[1]، ولكن يُؤخذ عليها في بعض المواطن قصورُها عن أداء الوظيفة المَنُوطة بها، وذلك من خلال التَّعويل على أمثلةٍ وشواهدَ مبتورةٍ من سياقها، "والحقُّ أنَّ الأمثلةَ المصنوعةَ في كتب النَّحو لغرض التَّعليم، وشرح القاعدة النَّحويَّة، قد ساعدت- إذ فقدت الحيويَّةَ ودفءَ النَّصّ الفعلي بفقدانِ دلالتها- على تأكيد ما رسخَ في أذهانِ هؤلاء وأولئك. ولذلك لابدَّ من العودة إلى النُّصوص اللغويَّة الحيَّة، والعمل من خلالها على شرح المعنى النَّحوي الدِّلالي فيها، على أنْ يكونَ ذلك من الكلامِ «المستقيمِ الحَسَن» الذي أشارَ إليه سيبويه"[2].

والحقُّ أنَّ هذه الأمثلة المصنوعة في أغلبها محاكاةٌ لكلام العرب، تُستعمل بغرض التَّمثيل؛ لتقريب الفكرة وإيضاحها، وهي دليلُ وعي النُّحاة فطرةً وصناعةً بخصوصيَّة اللغة العربيَّة، وقد ذهب المحدثون إلى أنَّ الصِّناعة قولَبتِ العقلَ الذي يمارس فعاليته في هذه اللغة، وذلك أنَّ عمل النُّحاة لم يقتصر على استنباط قواعد اللسان العربيّ من كلام العرب، بل هي في الواقع تقنينًا لهذا الكلام، وتحجيمًا له بوساطة قوالب عدّوها مطلقةً وقتلت إمكانيَّة التّطوّر فيها[3].

وهذا يدلُّ على أنَّ النَّحو العربيّ ليس إعرابَ مفرداتٍ أو فلسفةَ عواملَ نحويَّةٍ، أو أمثلةً مبتورةً، وإنَّما هو نظريَّةٌ لغويَّةٌ متكاملة تقوم على صحّة الإعراب وحصانة المعنى[4]، والعودة إلى التراث النَّحوي للعرب يؤكّد ذلك، ويدلُّ دلالةً واضحةً على أهمية ثنائيتَي- الصِّناعة والمعنى- في بَلْوَرة هذا العلم الرَّصين، فسيبويه(ت180هـ) لم تخفَ عليه المعاني عند إرساء القواعد النَّحويَّة في سِفْره العظيم[5]، وسار الرُّمَّاني على نهجه من حيث ضرورة مراعاة المعنى في صناعة النَّحو، بل إنَّه ألحَّ في تعليلاته على

(1) المرجع نفسه، ص79.

(2) **عبد اللطيف**، محمَّد حماسة، 1420هـ/2000م- **النَّحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النَّحوي- الدلالي)**. ط1، دار الشروق، القاهرة، ص180.

(3) **الجابري**، محمَّد عابد، 2009م- **تكوين العقل العربي**. ط10، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، ص89.

(4) **الخطيب**، محمَّد عبد الفتَّاح، 2006م- **ضوابط الفكر النَّحويّ**. تقديم: أ. د. عبده الرَّاجحي، (د.ط)، دار البصائر، القاهرة، ج2، ص426.

(5) **مخيمر**، فؤاد علي، **فلسفة عبد القاهر الجرجاني النَّحويَّة في دلائل الإعجاز**، ص47.

الانسجام والتَّوافق بين القاعدة النَّحويَّة أو الحكم النَّحويّ من جهة والمعنى الذي ينضوي عليهما من جهةٍ أخرى.

3- أثر الصِّناعة النَّحويَّة في عمليَّة التَّعليل النَّحويّ في شرح كتاب سيبويه للرمَّاني

كان للصناعة النَّحويَّة أثرٌ بيِّنٌ في عمليَّة التَّعليل النَّحوي، وحسب البحث الوقوف على نماذجَ منتقاةٍ من شرح كتاب سيبويه للرمَّاني؛ لبيان هذا الأثر، وذلك من نحو:

3-1- الضمير المنفصل المرفوع:

ذهب الرُّمَّاني إلى أنَّه لا يجوز في هذا الضمير إلّا أنْ يكونَ منفصلًا، ولا ينوب عنه المتصل، من نحو: كيفَ أنتَ؟ وأين هو؟ ومَن أنا؟[1] وهذا ما ذهب إليه النَّحويون أيضًا[2]، فلا يقال: كيفتَ؟ في كيف أنتَ؟ لأنَّه فاسدٌ بإجماع أهلِ اللسان لا يُنطقُ به، وعلَّة ذلك أنَّه يلزم التَّرتيب، ولا يصلُح فيه الاتساع للإخلال بالعامل[3]، إذ تأباه الصِّناعة ويرفضه المعنى. أمّا في العطف عليه، فيجوز أن يُقال: نحن وأنتم ذاهبون، وجاءَ عبدُ الله وأنتَ[4]. وورد في الذّكر الحكيم قولُه تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الممتحنة60: 1] و: ﴿لَقَد كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤكُمْ﴾ [الأنبياء21: 54][5]. ويجوز أن يُقال: أمَّا الخبيثُ فأنت، وأمَّا العاقلُ فهو، وعلّة ذلك أنّه ضميرٌ مرفوعٌ وُليَ غير عامل فهو منفصلٌ، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿ قِيلَ أَهَكَذا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوْتِينَا العِلْمَ﴾ [النمل27: 42] [6] فالضَّمير (هو) خبر (كأنَّه).

---

(1) **الرُّمَّاني**، علي بن عيسى، 1418هـ/1998م- **شرح كتاب سيبويه**. تح: سيف العريفي (من باب النُّدبة إلى نهاية باب الأفعال في القسم)، رسالة دكتوراه، إشراف: الدكتور تزّكي بن سهو العتيبي، كليَّة اللُّغة العربيَّة بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، ص585.

(2) **سيبويه**، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر، 1408هـ/1988م- **الكتاب**. تحقيق وشرح: عبد السلام محمَّد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2، ص352.

(3) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص585.

(4) المصدر السابق، ص586.

(5) **الأندلسي**، أبو حيَّان، 1418هـ/1998م- **التذييل والتكميل في شرح كتاب التَّسهيل**. تح: د. حسن هنداوي، ط1، دار القلم، دمشق، ج2، ص225.

(6) الكتاب، ج2، ص352. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص586.

ومنه قول الشَّاعر[1]:

فكأنَّهـا هـيَ بعـدَ غِـبِّ كَلالِهـا أو أسْـفَعُ الخَـدَّيْنِ شـاةُ إِرَانِ[2]

فقـد ظهـر الضّـمير (هـي) لأنَّ (كـأنَّ) حـرف لا يسـتكنُّ فيـه ضـمير الرَّفـع، كمـا يستكنُّ في الفعل لقوّة الفعل وضعف الحرف[3]. فـ(هي) خبر (كأنَّها)[4].

2-3- امتناعُ تأكيد النّكرة بأجمعينَ:

يقـول الرُّمَّـاني: "امتنـاعُ تأكيـد النّكـرة بـأجمعينَ؛ لأنَّـه معرفـة يُؤكَّـدُ بـه العمـومُ فـي المعرفـة، وذلـك أنَّ المعرفـة لا اشـتراك فيهـا، فهـي تَعُـمُّ مـن هـذه الجهـة علـى طريـق اسـم الجـنس، أو الجماعـة المعهـودة، فهـذا يـدلُّ علـى أنَّ التَّأكيـد لـه حَـدٌّ لا يُتجـاوزُ فيهمـا"[5]. وعليـه أجـاز مـررتُ بـالقومِ أجمعـين، ولـم يجـز: مـررتُ بقـومٍ أجمعـين، لأنَّ (قومًـا) نكـرة، وألفاظ التوكيد معارف[6].

3-3- التأكيد والفصل:

رأى الرُّمَّـاني أنَّ الفصـلَ يكـون مـع المُظهَـر والمُضـمَر، مـن نحـو: أظـنُّ زيـدًا هـو خيـرًا منـك، ولا يكـون التَّأكيـد إلّا مـع المُضـمَر، أمَّـا (أظنُّـه هـو خيـرًا منـك) فيصـلح أن يكـون

(1) لَبيد بن ربيعة العامريّ، ، شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأسلم، توفي أول خلافة معاوية وله 157سنة. **الدِّينَوَريّ**، ابن قتيبة أبو محمَّد عبد الله بن مسلم، 1407هـ/1987م- **الشِّعر والشُّعراء**. قدَّم له: الشَّيخ حسن تميم، راجعه وأعدَّ فهارسه: الشَّيخ محمَّد عبد المنعم العريان، ط3، دار إحياء العلوم، بيروت، ص171.

(2) غب كلالها: بعد إعيائها وتعبها. أسفع: ما فيه سواد ضارب إلى الحمرة، وأراد به الثور الوحشي. إران: النشاط. شبّه ناقته بسفينة فهي بعد كلالها وتعبها نفسها قبل الكلال نشاطًا وقوةً. شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص579، 587. و**ديوان لبيد بن ربيعة العامري**. (د.ت)، دار صادر، بيروت، ص208.

(3) الكتاب، ج2، ص353.

(4) **الأعلم الشّنتمري**، أبو الحجَّاج يوسف بن سليمان بن عيسى، 1420هـ/1999م- **النُّكت في تفسير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه**. دراسة وتحقيق: أ. رشيد بلحبيب، (د. ط)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ج2، ص265.

(5) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص673.

(6) الكتاب، ج2، ص386. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص673. مذهب البصريين لا يجيز توكيد النكرة، ومذهب الكوفيين يجيز توكيد النكرة المحدودة لحصول الفائدة، من نحو: "صمت شهرًا كلَّه" **ابن عقيل**، بهاء الدِّين عبد الله العقيلي الهمداني المصري، 1409هـ/1988م- **شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك (ت762هـ) ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل**، تأليف: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، طبعة منقَّحة، المكتبة العصريَّة، بيروت، ج2، ص195.

للفصل وللتأكيد، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿وَيَرَى الذيْنَ أُوتُوا العِلْمَ الذي أُنْزِلَ إِليكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ﴾[سبأ34: 6] فالضّمير (هو) للفصل ولا يجوز أن يكونَ للتأكيدِ، ولا يمكن أن يكونَ بدلًا، وتعليلُ ذلك أنَّ (الذي) في موضع نصب مفعولٍ أول لـ(يرى)، و(هو) ضمير فصل، والكوفيون يسمّونه ضميرَ عمادٍ، و(الحقَّ) مفعولٌ ثانٍ[1]. ولا تكون علامةُ المرفوع بدلًا من المنصوب[2].

4-3- باب المفعول معه

تبلغُ الصِّناعة النَّحويَّة ذروتَها في باب المفعول معه، إذ يتجلَّى الاختلاف بين ظاهر الجملة وما ترمي إليه، ما حملَ الرُّمَّاني على معالجة هذا الباب مستدِلًا ببعض الأمثلة المصنوعة التي سبقه إلى ذكرِها سيبويه؛ لتوضيح المراد، وتقريب الفكرة، من نحو: استوى الماءُ والخشبةَ، فالمعنى المُبتغى: استوى الماءُ في الارتفاعِ حتّى لحقَ الخشبةَ، وليسَ للخشبةِ فعلٌ في هذا الاستواءِ، ولو رفعَ الخشبةَ، لصار المعنى: استوى الماءُ في الجريانِ، واستوتِ الخشبةُ في الانتصاب، فالرفعُ ممتنعٌ[3] وقال سيبويه: بالخشبةِ[4]، وذهبَ الكوفيون إلى أنَّ المفعول معه منصوبٌ على الخلاف لمَّا لم يُشرك الأول في الإعراب الذي له، و**علَّتهم** أنَّه لا يحسن تكرارُ الفعل، فيقال: استوى الماءُ واستوتِ الخشبةُ؛ لأنَّها غيرُ معوجَّة فتستوي، فلمّا لم يحسن التِّكرار خالفَ الثاني الأول. ورأى أبو البركات بن الأنباري(ت577هـ) أنَّه باطلٌ؛ لأنَّ الخلاف لا يكون موجبًا للنصب. فوافق البصريين في أنَّه منصوبٌ بالفعل الذي قبله بتوسُّط الواو، ووافقهم أيضًا ابنُ جنّي[5]. و**علّتهم** أنَّ الفعل اللازم قُوّيَ بالواو، فتعدَّى إلى الاسم فنصبه. وذهبَ أبو إسحق الزَّجَّاج من البصريين إلى أنَّه منصوبٌ بتقدير عاملٍ هو: ولابسَ الخشبة، وعلَّل ذلك بأنَّ الفعل لا يعملُ في المفعول وبينهما الواو، لكنَّ ابنَ الأنباري ردَّ هذا الوجه؛ لأنَّ الفعل يعملُ في المفعول على الوجهِ الذي يتعلَّق به، وقيل يلزمُ أن يصحَّ عطفُ المفعول معه على ما قبله، وأنَّ أصلَ هذه الواو العطفُ، وهذا مذهبُ الجمهور.

---

(1) **النَّحَّاس**، أبو جعفر أحمد بن محمَّد، 1406هـ/1986م- **شرح أبيات سيبويه**. تح: د. زهير غازي زاهد، ط1، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربيَّة، بيروت، ص784.

(2) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص679.

(3) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص613.

(4) الكتاب، ج1، ص298.

(5) **ابن جنّي**، أبو الفتح عثمان، 1413هـ/1993م- **سر صناعة الإعراب**. دراسة وتحقيق: د. حسن هنداوي، ط2، دار القلم، دمشق، ص126.

ومن ذلك الإشكال أيضًا قولُهم: ما زلتُ أسيرُ والنِّيلَ، أي: مصاحبًا للنيل، من غير أن تُوجبَ للنيل سيرًا. أمّا إذا قلت: ما زلتُ أسيرُ والنّيلُ، بالرَّفع، لكان على معنًى آخر، وهو أنْ تسير بخراسان ويسير النيلُ بمجراه من مصر، فالنَّصب هو الوجهُ الصّحيحُ، والرَّفعُ فاسدٌ[1]. ومنه أيضًا قولُهم: جاءَ البردُ والطَّيالسةَ، فهو على معنى: جاءَ البردُ مع الطيالسة أو مصاحبًا لها، ولو رفع (الطيالسة) لجاز أن تكون جاءت في الحرِّ؛ لأنَّ الشّركة واقعةٌ، وإنْ جاز في وقتين متباعدين، وليس كذلك المصاحبة[2].

ومنه قول الشَّاعر[3]:

فكُونُوا أنتُم وَبَني أَبِيكُمْ مَكانَ الكُلْيَتَينِ مِنَ الطِّحَالِ

بنصب (بني) على أنَّه مفعولٌ معه، وهذا يوجب أن يكونَ أمرُهم خاصّة بهذا الأمر، ولو رفع لكانَ قد أمرَهم وأمرَ بني أبيهم معَهم[4]. فالنَّصب على المعيّة، والعاملُ فيه الفعلُ الظاهر، وهذا هو الوجه الرَّاجح، أمّا الرَّفعُ فوجهٌ ضعيفٌ يخالفُ الصِّناعة والمعنى.

علّةُ نصب الاسم في هذه الأدلّة التي أوردها الرُّمَّاني هي أنَّ هذه الواو منقولةٌ من حرف العطف إلى معنى (مع)، ولم تعمل هنا بحقِّ الأصل ولا بحقِّ الشبه، وانْ كانت قد وافقت معنى العامل؛ لأنَّ الفعلَ هو العاملُ، وهو أقوى منها[5]. أمَّا إذا قيل: ما صنعتَ أنتَ وأباك، فيجوز في (أباك) الرَّفع والنَّصب، أي يمكن أن يُقال: ما صنعت أنت وأبوك، وعلّة ذلك وجود الضّمير المنفصل المؤكِّد (أنت) وبه صلُح العطفُ وجازَ الوجهان، أمَّا إذا حُذف هذا الضّمير فلم يحسن إلّا الرَّفع للعلة التي بيَّنها الرُّمَّاني[6].

5-3- نصب الفعل بعد الفاء

(1) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص613.

(2) الكتاب، ج1، ص298. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص614.

(3) شُعْبة بن قُميَر الطّهوي، جاهلي أدرك الإسلام. **الأنصاري**، أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت، 1401هـ/1981م- **النَّوادر في اللغة**. تحقيق ودراسة: د. محمَّد عبد القادر أحمد، ط1، دار الشروق، القاهرة، ص369، 414.

(4) الكتاب، ج1، ص298. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص611 -614.

(5) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص612-613.

(6) المصدر السَّابق، ص614.

يتجلَّى إلمامُ الرُّمَّاني بمقتضيات الصِّناعة النَّحويَّة من خلال تعليلِه نصب الفعل بعد الفاء في جوابِ الأمر، والنّهي، والاستفهام، والعرض، والتّمنّي، والنّفي، على إضمار(أنْ)، من نحو: ما تَأْتِيني فَتُحَدِّثَني، فقد نُصب الفعل (تُحَدِّثَني) على معنى الجواب الذي يكون الأول فيه سببًا للثاني، وذلك على وجهين، عالجهما بطريقةٍ منطقيَّةٍ، أحدهما: ما تَأْتِيني أبدًا فكيف تُحَدِّثُني، ولو أتاه لحدَّثه. فنفيُ سببِ الحديثِ يمنعُ وجودَ الحديث. والوجه الآخر: ما تَأْتِيني مُحدِّثًا، والمراد: ما يكون إتيانٌ هو سببٌ للحديث، وإن كان قد يكون منك إتيانٌ كثيرٌ، أي أنَّه يأتيه كثيرًا ولكن من غير أن يحدِّثَهُ. ويجوز رفع (تُحَدِّثُني) على وجهين، أحدهما: نفي الحديث والإتيان جميعًا، كما ينتفيان بالواو، من نحو: ما تَأْتِيني وما تُحَدِّثُني. والوجه الآخر: يكون الإتيان منفيًا، والحديث موجبًا، والتَّقدير: ما يكون منك إتيانٌ في المستأنَف فأنت تُحَدِّثُني الآن[1].

وقد وافق الرُّمَّاني جمهورَ النَّحويين في عدم ظهور (أنْ) مع الفاء، وعلَّل ذلك بأنَّ الفعل محمولٌ على مصدرٍ مدلولٍ عليه لم يُصرَّح بذكره، فكذلك يجب أن لا يُصرّح بذكر(أنْ) ليُشاكل بالثاني الأول، ولا يُصرّح بذكر المصدر، فلا يجوز: ما تأتيني فحديث[2]. ولعلَّ هذا ما يؤكِّد أنَّ العلامة الإعرابيَّة ليست مجردَ زينةٍ لفظيَّة، وإنَّما هي قرينةٌ تفرّق بين المعاني المختلفة، وهذا ما أثبته معظمُ النَّحويين في مؤلَّفاتهم. وفيما يحتمله الفعلُ من الرَّفع والنَّصب يوردُ قول الشَّاعر[3]:

وَلا زالَ قَبرٌ بينَ تُبنَى وَجاسِمٍ عليهِ مِنَ الوَسْميّ جَوْدٌ وَوابِلُ

فيُنبتُ حَوْذانًا وعَوْفًا مُنوَّرًا سأُتبِعُهُ من خَيرِ ما قالَ قائِلُ

فأجاز في الفعل (يُنبِتُ) الرَّفع والنَّصب، أمَّا الرَّفع فعلى تقدير: فهو يُنبِتُ حَوْذانًا، وأمَّا النَّصب فعلى جواب الدُّعاء، ولكنَّه رجّح الرَّفع، وعلَّل سبب هذا التّرجيح

(1) الكتاب، ج3، ص30–31. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص861.

(2) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص861.

(3) النَّابغة الذُّبياني زياد بن معاوية، يُكنَّى أبا أُمامة، شاعر جاهلي لُقِّب بالنابغة لنبوغه وبراعته، ت604م. الشّعر والشّعراء، ص87. تُبنَى وجاسم: موضعان من أعمال دمشق. الجود والوابل: أغزر المطر، وخصَّ الوسمي لإتيانه عقب القيظ. الحَوذان والعَوف: نباتان طيبا الرائحة. المنوّر: الذي فيه زهر وورد. سأتبعه: سأثني عليه. البيت في رثاء النُّعمان بن حارث الغسَّاني الذي غمر قبره المطر الغزير فأنبت أطيب النبات، وأستحق التأبين.

بأنَّـه يـدلُّ علـى التفـاؤل بوقـوع ذلـك لا محالـة، ولأنَّـه لمَّـا دعـا الله –عـزَّ وجـلَّ– وثـقَ بالإجابةِ، وأخرجَ الكلامَ مُخرجَ الإيجاب[1]. وبهذا يكون الرَّفع أحسنَ صناعةً ومعنًى.

6-3- عامل الرَّفع في الفعل المضارع

يـرى الرُّمَّـاني أنَّ الـذي يجـوزُ فـي عامـلِ الرَّفـع فـي الفعـل المضـارع أن يكـونَ موقـع الاسـم الـذي الاسـمُ أحـقُّ بـه فـي الأصـل، وعلَّـل ذلـك بـأنَّ الرَّفـع أوّلٌ، وموقـع الاسـم أوّلٌ، ونفـى أن يكـون عامـلَ الرَّفـع فقـدُ الجـازم والنَّاصـب، لضـعفِ المنفـي عـن أن يكـون عـاملًا مـع أنَّـه إذا ظهـر فلـم يعمـل فـي الرَّفـع، فهـو إذا لـم يكـن موجـودًا أحـقُّ بـأن لا يعمـل الرَّفـعَ[2]. يقـول: "ولـيس كـلُّ موقـعٍ يقـع فيـه الاسـم فهـو ممـا يصـلُح أن يقـع فيـه الفعـل، لأنَّ موقـع الفاعـل لا يصـلُح للفعـل، إذ يسـتحيل دخـول فعـلٍ علـى فعـلٍ مـن أجـلِ أن يقتضـيَ معتمد البيان، والفعل للفائدة، فلا يدخل فعلٌ على فعل"[3].

والحـقُّ أنَّ مـا ذهـب إليـه الرُّمَّـاني هـو مـذهب البصـريين؛ أي أنَّ الفعـل المضـارع ارتفـعَ لوقوعِـه موقـعَ الاسـم، فيقـال: زيـدٌ يضـرب، وزيـدٌ ضـارب، فالعامـل معنـويٌّ يشـبه الابتداء. وفي هذا السِّياق يُورد الرُّمَّاني قولَ الشَّاعر[4]:

لا تَنْـهَ عَـن خُلُـقٍ وَتـأتيَ مِثْلَـه عـارٌ عليـكَ –إذا فَعلْـتَ– عَظِـيمُ

بنصـب الفعـل (تـأتيَ) بإضـمار (أنْ) إذ لا يجـوز أن يكـون مجزومًـا عطفًـا علـى الفعـل الأول (لاتنـهَ) لفسـاد المعنـى، ولا يجـوز إدخـالُ الفـاء عليـه؛ لأنَّـه يجعـل النّهـي عـن خُلُق سببًا لإتيان مثلِهِ، وهذا فاسدٌ[5].

---

(1) الكتاب، ج3، ص36–37. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص878. و**ديوان النابغة الذُّبياني**. 1911م– (د. ط)، مطبعة الهلال بالفجَّالة، مصر، ص88–89.

(2) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص802.

(3) معتمد البيان: المسند إليه، وهو المبتدأ والفاعل ولا يكون إلا اسمًا، وذكره في الكلام للبيان، لأنَّ المخاطب يعلمه. ومعتمد الفائدة: المسند، كالخبر في الجملة الاسمية، والفعل في الجملة الفعلية، ولا يكون إلا فعلًا، وذكره في الكلام للفائدة، لأنَّ المخاطب لا يعلمه. شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص802–803 الحاشية(6).

(4) أبو الأسود الدُّؤَليُّ ظالم بن عمرو من كنانة، ت69هـ. الشعر والشعراء، ص491.

(5) الكتاب، ج3، ص42. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص883–892. **وديوان أبي الأسود الدؤلي**، 1418هـ/1998م– صنعه: أبو سعيد الحسن السُّكَّري(ت290هـ)، تح: الشيخ محمَّد حسن آل ياسين، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص404.

أمّا قول الشَّاعر[1]:

قَتلْـــتُ بعبـــدِ اللهِ خَيْـــرَ لِداتِـــهِ ذؤابًـا، فلـم أفخـرْ بـذاكَ وأجزَعَـا

فيـرى الرُّمَّـاني أنَّ الأحسـنَ فـي الفعـل (أجـزع) النّصـب، ولـم يجـز جزمُـه؛ لـئلا يجمـعَ بـين الفخـر والجـزع معًـا، وقـد علَّـل هـذا التّـرجيح الصِّـناعي فـي ضـوء المعنـى الـذي يقتضـي عـدمَ اجتمـاعِ الفخـرِ مـع الجـزع؛ لـذلك فـإنَّ النّصـبَ أبعـدُ مـن المناقضـة علـى حـدِّ تعبيره[2].

وفيمـا يحتمـل الاشـتراك فـي (أنْ) والانقطـاع، يـذهب الرُّمَّـاني إلـى أنّـه يجـوز فـي الفعـل الـذي يحتمـل الاشـتراكَ فـي (أنْ) والانقطـاع، إجـراؤه علـى الـوجهين فـي تمـامِ الكـلامِ مـع صـحّة المعنـى، وهـذا دليـلٌ علـى حرصِـه أشـدّ الحـرص علـى مراعـاة المعنـى، وهـو يبحـثُ فـي صـناعة النَّحـو، وتعـدُّد أحكامـه، ومنـعَ الانقطـاعَ قبـلَ تمـام الكـلام، وعلَّـل ذلـك بأنَّـه لا تُحمـل الجملـة الثانيـة علـى الأولـى قبـلَ أن تـتمَّ؛ لِمَـا فـي ذلـك مـن الفسـاد بخلـيط الكـلام، ويسـوق مثـالًا علـى ذلـك يوضّـح فيـه مـا يصـبو إليـه، وهـو: أُريـد أنْ تـأتيَني ثـمَّ تحـدِّثَني، فالنَّصـب يُوجـب دخـول الفعـل الثـاني فـي الإرادة، والتَّقـدير: أُريـد إتيانَـك ثـمَّ حـديثَك، أي أرادهمـا جميعًـا. ويجـوز الرَّفـع فـي الفعـل (تحـدِّثُني) علـى وجهـين، أحـدهما: العطف على أريد، والآخر الاستئناف على معنى: ثمَّ أنت تحدِّثُني[3].

أمّا قول الشَّاعر[4]:

يُريـــــدُ أنْ يُعرِبَـــــهُ فيُعجِمُـــــهْ

فغيـر داخـلٍ فـي بـاب الإرادة، وإنَّمـا هـو علـى معنـى: فـإذا هـو يُعجِمُـهُ[1]، علـى القطع، ولا يجوز النَّصب على العطف لفساد المعنى.

(1) دُرَيْد بن الصِّمَّة أدرك الإسلام ولم يسلم، قُتل يوم حُنين 8هـ. الشعر والشعراء، ص506. اللدة: الترب. قال الشَّاعر هذه القصيدة يوم الغدير حين أغار فيه على غطفان وقتل بأخيه عبدِ الله ذؤابَ بن أسماء بن زيد.

(2) الكتاب، ج3، ص43. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص885-893.

(3) الكتاب، ج3، ص53. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص916.

(4) الحُطَيْئة جَرْوَل بن أَوْس من بني عبس، يكنَّى أبا مُلَيكة، شاعر جاهلي إسلامي، ت59هـ. الشعر والشعراء، ص203. الإعجام: أن يجعله مشكلًا لا بيان له.

7-3- جواز الرَّفع والنَّصب عند إضمار الفعل

أجاز الرُّمَّاني في باب إضمار الفعل الرَّفعَ والنَّصبَ، وذلك من نحو قولهم: (خيرَ مَقْدَمٍ). النَّصب على تقدير: قدمتَ خيرَ مَقْدَمٍ. والرَّفع على تقدير: قدومُك خيرُ مَقْدَمٍ[2]. ومثله: مُصاحَبٌ مُعانٌ، ومبرورٌ مأجورٌ. الرَّفع على تقدير: أنتَ مُصاحَبٌ مُعانٌ، وأنتَ مبرورٌ مأجورٌ. والنَّصب على تقدير: اذهب مُصاحَبًا مُعانًا، ورجعتَ مبرورًا مأجورًا؛ لأنَّ هذا الكلام إنَّما يقال في حال القدوم والذَّهاب[3]. وممّا جرى على إضمار الفعل المتروك إظهاره قولهم: هنيئًا مريئًا، أي: كُل هنيئًا واشربْ مريئًا؛ لأنَّه أكثر ما يقال عند حال الأكلِ والشّرب، ويحتمل: هنَّأه هنيئًا[4].

أمَّا قولهم: شأنَك والحجَّ، وامرأً ونفسَه، ورأسَه والحائط، فالواو فيها بمعنى (مع)[5] والتّقدير: الزم شأنك، أو: عليك شأنك مع الحج. ودع امرأً مع نفسه[6]. يقول الرُّمَّاني: "الذي يجوز في الفعل المتروك إظهاره في الأمر والتَّحذير نصبُ المفعول على حذف الفعل الذي يؤذن به حال التَّحذير أو الحضّ على الفعلِ المخصوصِ على تقدير الأمر"[7] .

والحقُّ أنَّ بعضَ هذه الأساليب أصبح كالمثل، واستغنى عن ذكرِ العامل، من نحو قولهم: مرحبًا وأهلًا، وهما مصدران يقتضيان فعلًا عاملًا بهما، والتّقدير: رحبت بلادُك وأهلت، لكن لم يظهر الفعل؛ لأنَّه صارَ كالمثل[8]، ولكثرة استعمالِها وتردُّدِها ألفتْها الأسماعُ بهذه الصِّيغة.

---

(1) الكتاب، ج3، ص53. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص917. **وديوان الحُطيئة برواية وشرح ابن السّكيت**. 1413هـ/1993م- دراسة وتبويب: د. مفيد محمَّد قميحة، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ص185.

(2) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص572.

(3) الكتاب، ج1، ص270-271. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص572.

(4) الكتاب، ج1، ص317. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح محمّد شيبة، ص572.

(5) الكتاب، ج1، ص274.

(6) الكتاب، ج1، ص274-275.

(7) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص576.

(8) الكتاب، ج1، ص295. شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص608.

وقد يفسد الصّنعةَ مَن يتوهَّم أنَّ (الليل) في قولهم (أهلَك والليلَ) مجرورٌ، إذ إنَّ التَّقدير الصَّحيح: الحقْ أهلَك قبلَ الليلِ، أو الحق أهلك وسابقِ الليلَ[1]. وقدَّره الرُّمَّاني: بادر أهلَك والليل[2]. (أهلك) مفعولٌ به لفعلٍ محذوفٍ تقديره (بادر) أو (الحق). وقدَّره سيبويه: بادرْ أهلَك قبلَ الليل[3]. أمَّا تقديرُ قولهم: مازِ رأسَكَ والسَّيف، فهو: احذرْ رأسَك والسَّيفَ[4].

واحتمل(الهلال) الرَّفع والنَّصب في قولهم: الهلالُ والله، فالرَّفع على تقدير: هذا الهلالُ والله. والنَّصب على تقدير: رأوا الهلالَ. أمّا تقدير قولهم: الليلةَ الهلالُ فهو: الليلة طلوعُ الهلالِ أو حدوثُ الهلالِ؛ لأنَّ لا يُخبر عن الزمان بالذات، فالهلالُ جثّة، ولا يمكن أن يكون خبرًا[5]. فهذه أساليبُ ذاتُ صَوغٍ خاصّ، أكثر ما تشيع في الأمثال، والأمثال لا تُغيَّر.

يقول الرُّمَّاني: "الذي يجوزُ في حذفِ الفعلِ الذي جرى الكلامُ به كالمَثَلِ، أنَّه إذا كَثُرَ إلى حدٍّ يبلغُ به كثرةَ المَثَلِ في ظهورِ المعنى، جازَ حذفُه للاستغناء عنه بظهور المعنى بما أُبقيَ من الكلام، ولا يجوزُ إظهارُه؛ لأنَّه يصيّرُه بمنزلة استعمالِ ما لا يحتاجُ إليه للمعنى اللازم عنه"[6].

ولا يقتصر ذلك على ما جرى مجرى الأمثال، بدليل قولِ الشَّاعر[7]:

أُريدُ حِبَاءَهُ وَيريدُ قَتلي عَذيرَكَ مِن خَليلكَ مِن مُرادِ

(1) الخصائص، ج1، ص279، ج3، ص261.

(2) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص577.

(3) أراد أن يحذِّره أن يلحق أهله قبل أن يدركه الليل. الكتاب، ج1، ص275.

(4) قال الأصمعي أصل ذلك أنَّ رجلًا يقال له مازن، أسرَ رجلًا، وكان يطلب المأسور بسيفه، فقال له : ماز– أي: يا مازن– رأسَكَ والسَّيفَ، فنحَّى رأسَه، فضرب الرجلُ عنقَ الأسير وقيل قد يقال: ماز ويسكت، ومعناه: مُدَّ رأسك. **الميداني**، أبو الفضل أحمد بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم، 1374هـ/1955م– **مجمع الأمثال**. حققه وفصَّله وضبط غرائبه وعلَّق حواشيه: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، مطبعة السُّنَّة المحمَّديَّة، ج2، ص279. الكتاب، ج1، ص275. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص577.

(5) الكتاب، ج1، ص418.

(6) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص591.

(7) عمرو بن مَعدِي كَرِب الزُّبَيديّ، يكنَّى أبا ثَور، شاعر مخضرم وصحابي فارس، شهد معركة القادسية، ت21هـ. الشعر والشعراء، ص240. الحِباء: التكريم والعطاء. عذيرك: مصدر، والمراد به في البيت هات عذرك.

نصبَ المصدر (عذيرك) بإضمار فعل لا يجوز إظهاره، كأنَّه قال: اعذر خليلك من مراد، ولم يظهر العامل، لاجتماع سببين، أحدهما: ما يقتضيه المصدر في حال الحضّ على المعنى. والآخر: أنَّه مصدرٌ جارٍ على الفعل فهو يقتضي بتغييره عن حدِّه الجاري تغييرَ العامل بحذفه، فلهذا لزم الحذفُ فيه[1]. فـ(عذير) مصدرٌ نائبٌ عن فعله. ووصف سيبويه هذه الصِّناعة بالقبح[2].

8-3- حذف حرف الجرِّ

من فنون الصِّناعة النَّحويَّة حذفُ حرف الجرِّ، وتعدّي الفعل إلى المفعول على الاتساع، وهو "الخروجُ عن حدودِ العلاقاتِ المنطقيَّةِ العاديَّةِ التي هي قوامُ النَّحو"[3]. وليست هذه الصِّناعة نادرةً في شواهد النَّحو، فمنها قول الشَّاعر[4]:

ومنَّا الذي اِخْتيرَ الرِّجالَ سَماحةً وجُودًا إذا هَبَّ الرِّياحُ الزَّعازِعُ

أي: من الرِّجال[5]، وأجاز سيبويه والفرَّاء تعديةَ الفعل بنفسه، أي: اختير الرِّجالُ زيدًا، اخترتُ الرجالَ عبدَالله، وعلَّة ذلك وروده في السَّماع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَومَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف7: 155] أي من قومه[6].

وقال الشَّاعر:

أمرتُكَ الخَيْرَ فَافعلْ مَا أُمِرتَ بِهِ فقد تركتك ذا مال وذا نشب

(1) الكتاب، ج1، ص276. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص575-578. **وشعر عمرو بنَ معْدي كَرِب الزُّبيدي**، 1405هـ/1985م- جمعه ونسَّقه: مُطاع الطرابيشي، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، دار الفكر، دمشق، ص107.

(2) الكتاب، ج1، ص276-277.

(3) **عيَّاد**، شكري، 1988م- **اللغة والإبداع (مبادئ علم الأسلوب العربي)**. ط1، منشورات انترناشونال، القاهرة، ص111.

(4) الفَرَزْدق هَمَّام بن غالب بن صَعْصَعة، يكنى أبا فِراس، شاعر أموي، ت110هـ. الشعر والشعراء، ص315. الزعازع: واحدتها زَعْزَع وهي الرياح الشديدة. يصف أباه غالبًا بأنه كان جوادًا عند شدّة الزمان.

(5) الكتاب، ج1، ص39. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص190، 195. **وديوان الفرزدق**، 1407هـ/1987م، شرحه وضبطه وقدَّم له: علي فاعور، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ص360 برواية (خيرًا) مكان (جودًا).

(6) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص195.

أي: أمرتُكَ بالخيرِ[1]. ومن ذلك أيضًا قول الشَّاعر[2]:

آليـتَ حـبَّ العـراق الـدهرّ أطعمُـهُ والحَـبُّ يأكلُـهُ فـي القريـة السُّـوسُ

أي: علـى حَـبِّ العـراق، وآكلـه بمعنـى لا آكلـه[3]، قياسًـا علـى: واللهِ أبـرحُ مـن هنـا بمعنـى: لا أبـرحُ. لكـنَّ ابـن ولّاد (ت332هـ) ذكـر أنَّ (آليـت) و(حلفـت) و(أقسـمت) أفعـالٌ تتعـدَّى إلـى المحلـوف عليـه بحـرف الجـر[4]. وقـد أجـازَ الرُّمَّـاني الـوجهين، حيـث قـال: "فكِلا الوجهين حَسَنٌ"[5].

9-3- التمييز بين الصّفة والتَّأكيد

ارتكـز الرُّمَّـاني علـى المعنـى فـي توجيـه الصِّـناعة النَّحويَّـة لتمييـزه بـين الصّـفة والتَّأكيـد، إذ رأى أنَّ الصّـفة لهـا معنًـى يختلـفُ عـن الموصـوف، أمَّـا التَّأكيـدُ فلـيس كـذلك، والعلّـة أنَّـه بمنزلـة التَّكريـر؛ لأنَّ المعنـى فـي التَّأكيـد والمؤكَّـد واحـدٌ[6]، ورأى أنَّـه لا يجـوز أن يؤكَّـد المظهَـرُ بالمضـمَر؛ لأنَّ المضـمَر يبـيّن المخاطـبَ مـن المـتكلِّم، فيخـالف المظهـرَ بهـذا المعنـى، والتَّأكيـد يجـب أن يكـونَ موافقًـا فـي معنـاه للمؤكَّـد، يقـال: مـررتُ بـكَ أنـتَ، ومـررتُ بـه هـو، علـى التَّأكيـد. ولا يجـوز: مـررتُ بزيـدٍ هـو، لمخالفـة التَّأكيـد لحـال المؤكَّد[7].

(1) الكتاب، ج1، ص38. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص189، 193. وشرح أبيات سيبويه للنحاس، ص42.

(2) جَرير بن عبد المسيح الضُّبَعيّ المعروف بالمُتلمِّس، شاعر جاهلي، ت569م. الشعر والشعراء، ص104. آليت: حلفت. حبّ: اسم جنس جمعي للحبوب من حنطة وشعير وغيرهما. أطعمه: أذوقه. والمعنى: أقسمت ألّا آكل شيئًا من قمح العراق مع أنَّه ميسورٌ للجميع، وذلك بسبب موقفه من عمرو بن هند.

(3) الكتاب، ج1، ص38. وشرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص190-193. و**ديوان المُتلمِّس الضُّبَعيّ**، 1390هـ/1970م- رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، عُني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصَّيرفي، معهد المخطوطات العربيَّة، مصر، ص95.

(4) **ابن ولّاد**، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد، 1416هـ/ 1996م- **الانتصار لسيبويه على المبرد**. دراسة وتحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص48 المسألة(4).

(5) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: محمّد شيبة، ص193.

(6) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص673.

(7) شرح كتاب سيبويه للرمَّاني، تح: سيف العريفي، ص672- 673.

خاتمة ونتائج:

هكـذا ينتهـي البحـث مؤكِّـدًا أنَّ الصِّـناعة النَّحويَّـة لـم توضـعِ اعتباطًـا، وإنَّمـا هـي انعكـاسٌ لمعـانٍ متنوّعـةٍ؛ فكـلُّ مسـألةٍ صـناعيَّةٍ لهـا سـببٌ، ولهـا تعليـلٌ، وقـد عُنـي الرُّمَّـاني بهـا، تحلـيلًا وتعلـيلًا وإعرابًـا، وسـخَّرها لخدمـة معـاني النَّحـو، واسـتطاعَ أنْ يسـتنطقَ الألفـاظَ بحثًـا عـن معانيهـا، ليجعلَهـا تنسـجمُ والأحكـامَ النَّحويَّـةَ، فراعـى جانـبَ الصِّـناعة النَّحويَّـة مـن خـلال الحفـاظِ علـى أمـنِ اللَّـبْس فـي بعـض القضـايا والمسـائل المُشـكِلة، وأضـفى صـبغةً منطقيَّـةً فـي معالجتهـا، ولكنَّـه انتصـر للمعنـى مـع اعتبـار أهميّـة اللفـظ، فالقواعـد والأحكـام لم تُلقَ جزافًا. ومن أبرز النَّتائج التي توصَّل إليها البحث:

- الصِّناعة النَّحويَّة هي الرَّكيزةُ التي قامَ عليها علمُ النَّحو، واستوى على سوقِه تحتَ عباءتها.
- الصِّناعة النَّحويَّة ظاهرةٌ أصيلةٌ ومتجذِّرة في اللُّغة العربيَّة، ومطلبٌ استعمالي مهمٌّ فيها.
- نادى الرُّمَّاني بوجوب تبعيَّة اللفظ للمعنى، واعتمد هذا الأمر في تعليلاته للقضايا النَّحويَّة.
- تنوع مظاهر الصِّناعة النَّحويَّة في الكلام، بتنوّع الأبواب النَّحويَّة، والقضايا والأساليب المرتبطة به.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

1. **الأعلم الشّنتمري**، أبو الحجَّاج يوسف بن سليمان بن عيسى، 1420هـ/1999م- **النُّكت في تفسير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه**. دراسة وتحقيق: أ. رشيد بلحبيب، (د. ط)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
2. **الأنباري**، أبو البركات، 1405هـ/1985م- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**. تح: إبراهيم السامرائي، ط3، مكتبة المنار، الأردن.
3. **الأندلسي**، أبو حيَّان، 1418هـ/1998م- **التذييل والتكميل في شرح كتاب التَّسهيل**. تح: د. حسن هنداوي، ط1، دار القلم، دمشق.
4. **الأنصاري**، أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت، 1401هـ/1981م- **النَّوادر في اللغة**. تحقيق ودراسة: د. محمَّد عبد القادر أحمد، ط1، دار الشروق، القاهرة.
5. **التوحيدي**، أبو حيان، 1408هـ/1988م- **البصائر والذخائر**. تح: د. وداد القاضي، ط1، دار صادر، بيروت.
6. **الجابري**، محمَّد عابد، 2009م- **تكوين العقل العربي**. ط10، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت.
7. **الجرجاني**، عبد القاهر، 1413هـ /1992م- **دلائل الإعجاز**. تح: محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
8. **ابن جني**، أبو الفتح عثمان، 2010م- **الخصائص**. تح: محمد علي النَّجار، ط2، عالم الكتب، بيروت.
9. **ابن جنّي**، أبو الفتح عثمان، 1413هـ/1993م- **سر صناعة الإعراب**. دراسة وتحقيق: د. حسن هنداوي، ط2، دار القلم، دمشق.
10. **ابن جني**، أبو الفتح عثمان، 1415هـ- 1994م- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تح: علي النجدي ناصف، منشورات وزارة الأوقاف، لجنة إحياء كتب السنة، القاهرة.
11. **حسَّان**، تمّام، 1420هـ/2000م- **الأصول (دراسة إبستيمولوجيَّة للفكر اللغوي عند العرب، النَّحو- فقه اللُّغة- البلاغة)**. (د. ط)، عالم الكتب، القاهرة.

12. **حسَّان**، تمام، 1421هـ/2001م- **اللغة العربيَّة بين المعيارية والوصفية**. ط4، عالم الكتب، القاهرة.

13. **الخطيب**، محمَّد عبد الفتَّاح، 2006م- **ضوابط الفكر النَّحويّ**. تقديم: أ. د. عبده الرَّاجحي، (د.ط)، دار البصائر، القاهرة.

14. **الدِّينَوَريّ**، ابن قتيبة أبو محمَّد عبد الله بن مسلم، 1407هـ/1987م- **الشِّعر والشُّعراء**. قدَّم له: الشَّيخ حسن تميم، راجعه وأعدَّ فهارسه: الشَّيخ محمَّد عبد المنعم العريان، ط3، دار إحياء العلوم، بيروت.

15. **ديوان أبي الأسود الدؤلي**، 1418هـ/1998م- صنعه: أبو سعيد الحسن السُّكَّري(ت290هـ)، ت ح: الشيخ محمَّد حسن آل ياسين، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

16. **ديوان الحُطيئة برواية وشرح ابن السّكيت**. 1413هـ/1993م- دراسة وتبويب: د. مفيد محمَّد قميحة، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

17. **ديوان الفرزدق**، 1407هـ/ 1987م، شرحه وضبطه وقدَّم له: علي فاعور، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

18. **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**. (د.ت)، دار صادر، بيروت.

19. **ديوان المُتلمِّس الضُّبَعيّ**،1390هـ/1970م- رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، عُني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصَّيرفي، معهد المخطوطات العربيَّة، مصر.

20. **ديوان النابغة الذُّبياني**. 1911م- (د. ط)، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر.

21. **ابن رشد**، القاضي أبو الوليد، 1431هـ/2010م- **الضّروري في صناعة النَّحو**. تحقيق ودراسة، د. منصور علي عبد السَّميع، تقديم: أ.د. محمَّد إبراهيم عبادة، ط1، دار الصّحوة، مصر.

22. **الرُّمَّاني**، علي بن عيسى، 1408هـ/1988م- **شرح كتاب سيبويه**. تح: المتولّي الدَّمِيري، ط1، مطبعة السعادة، مصر.

23. **الرُّمَّاني**، علي بن عيسى، 1414ـ/1415هـ- **شرح كتاب سيبويه** من أول الكتاب إلى نهاية باب المصدر المثنى المحمول على الفعل المتروك إظهاره، دراسة وتحقيق محمَّد إبراهيم يوسف شيبة، رسالة دكتوراه بكلية اللُّغة العربيَّة بجامعة أم القرى، إشراف: أ.د. أحمد مكّي الأنصاري.

24. **الرُّمَّاني**، علي بن عيسى، 1418هـ/1998م- **شرح كتاب سيبويه**. تح: سيف العريفي (من باب النُّدبة إلى نهاية باب الأفعال في القسم)، رسالة دكتوراه، إشراف: الدكتور تركّي بن سهو العتيبي، كليَّة اللُّغة العربيَّة بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة.

25. **السّهيلي**، أبو القاسم عبد الرَّحمن بن عبد الله، 1412هـ/1992م- **نتائج الفكر في النَّحو**. حققه وعلَّق عليه: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

26. **سيبويه**، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر، 1408هـ/1988م- **الكتاب**. تحقيق وشرح: عبد السلام محمَّد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة.

27. **السِّيوطي**، جلال الدِّين، 1427هـ/ 2006م- **الاقتراح في أصول النَّحو**. ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، راجعه وقدَّم له: علاء الدين عطية، ط2، دار البيروتي.

28. **شعر عمرو بنَ معْدي كَرِب الزُّبيدي**، 1405هـ/1985م- جمعه ونسَّقه: مُطاع الطرابيشي، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، دار الفكر، دمشق.

29. **عبد اللطيف**، محمَّد حماسة، 1420هـ/2000م- **النَّحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النَّحوي- الدلالي)**. ط1، دار الشروق، القاهرة.

30. **ابن عقيل**، بهاء الدِّين عبد الله العقيلي الهمداني المصري، 1409هـ/1988م- **شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك (ت762هـ) ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل**، تأليف: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، طبعة منقَّحة، المكتبة العصريَّة، بيروت.

31. **العُكْبُري**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، 1416هـ/1995م- **اللباب في علل البناء والإعراب**، تح: د. غازي مختار طليمات، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق.

32. **العكيلي**، حسن منديل، 2012م- **دراسات نحويّة**. ط1، دار الكتب العلميَّة.

33. **عيَّاد**، شكري، 1988م- **اللغة والإبداع (مبادئ علم الأسلوب العربي)**. ط1، منشورات انترناشونال، القاهرة.

34. **القرطبي**، ابن المضاء، 1994م- **الرد على النحاة**. تح: د. شوقي ضيف، ط1، القاهرة.

35. **القزويني**، أحمد بن فارس،1418هـ - **الصاحبي في فقه اللغة العربيَّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها**. تح: محمد علي بيضون، ط1.

36. **مخيمر**، فؤاد علي، 1983م- **فلسفة عبد القاهر الجرجاني النَّحويَّة في دلائل الإعجاز**. ط1، دار الثقافة، مصر.

37. **الميداني**، أبو الفضل أحمد بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم، 1374هـ/1955م- **مجمع الأمثال**. حققه وفصَّله وضبط غرائبه وعلَّق حواشيه: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، مطبعة السُّنَّة المحمَّديَّة.

38. **النَّحَّاس**، أبو جعفر أحمد بن محمَّد، 1406هـ/1986م- **شرح أبيات سيبويه**. تح: د. زهير غازي زاهد، ط1، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربيَّة، بيروت.

39. **ابن ولَّاد**، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد، 1416هـ/ 1996م- **الانتصار لسيبويه على المبرد**. دراسة وتحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

The effect of the grammatical industry on the process of grammatical reasoning Explaining the book of Sibawayh by Al-Rummani as an example

Abstract

The grammatical industry is an important pillar in the science of grammar. Because it is a means of distinguishing correct speech from incorrect ones, and the explanation of the book is considered by Al-Rummani A model that illustrates the impact of grammatical industry in the process of grammatical reasoning. It discusses the importance of grammatical industry. To clarify the correct meaning, and this appears in the Arabic language in general, and in Al-Rummani in particular, in a clearly defined way. Indeed, the correspondence between artifice and meaning has an important role in the process of grammatical reasoning, which is considered the most widespread and influential phenomenon in the language.

This was discussed through three axes: the concept of grammatical industry, the connection of grammatical industry to meaning, and the impact of grammatical industry in the process of grammatical reasoning in the explanation of Sibawayh's book by Al-Rummani. It is preceded by a preface and an introduction, and followed by a conclusion that includes the most prominent results of the research.

Keywords: grammatical industry, grammatical reasoning, explanation of the book, Al-Rummani.